

المكتبة الخضراء للأطفال

البجعَاتُ الْمُتَوَحِّشَاتُ



المكتبة الخضرَاء للأطفال

٥



الطبعة الثامنة عشرة

بقلم: عبد الله الكبير



كَانَ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ ، أَحَدَ عَشَرَ وَلَدًا ، وَبِنْتُ وَاحِدَةٍ . وَكَانُوا
يَعِيشُونَ فِي قَصْرِ فَخْمٍ جَمِيلٍ ، عِيشَةً كُلُّهَا سَعَادَةٌ وَهَنَاءٌ ، فَقَدْ
كَانَ الْمَلِكُ عَادِلًا رَحِيمًا ، يُحِبُّ شَعْبَهُ ، وَيَبْذُلُ جُودَهُ فِي سَبِيلِ
تَقْدِيمِهِ ، فَأَحَبَّتْهُ رَعِيَّتُهُ ، وَأَخْلَصَتْ فِي حُبِّهِ .

وَكَانَتِ الْمَلِكَةُ وَفِيَّةً مُخْلِصَةً ، تُسَاعِدُ زَوْجَهَا فِي تَدْبِيرِ مَمْلَكَتِهِ
الْوَاسِعَةِ ، وَتُشْرِفُ بِنَفْسِهَا عَلَى شُؤْنِ الْقَصْرِ ، وَتَهْتَمُّ كُلَّ الْإِهْتِمَامِ

بِتَرْبِيَةِ أَبْنَائِهَا ، وَتُحِبُّ إِلَيْهِمُ الْفَضَائِلَ ، وَالْأَخْلَاقَ الْعَالِيَةَ .
وَكَانَ الْأَمْرَاءُ أَذْكِيَاءَ مُهَذَّبِينَ ، يَذْهَبُونَ إِلَى الْمَدْرَسَةِ ، وَالتَّيْجَانِ
عَلَى رُؤُوسِهِمْ ، وَالْأَوْسِمَةَ تُزَيِّنُ صُدُورَهُمْ ، وَالسُّيُوفُ تَتَدَلَّى بِجَانِبِهِمْ ،
وَكَانُوا يَكْتُبُونَ بِأَقْلَامٍ مِنَ الْأَلْمَاسِ ، عَلَى الْوَاجِ مِنَ الذَّهَبِ !
أَمَّا الْأَمِيرَةُ - وَهِيَ أَصْغَرُ إِخْوَتِهَا - فَكَانَتْ بَارِعَةً الْجَمَالِ ،
خَفِيفَةَ الرُّوحِ ، رَقِيقَةَ الطَّبَاعِ ، يُحِبُّهَا كُلُّ مَنْ يَرَاهَا . وَكَانَتْ تَجْلِسُ
- عَصْرَ كُلِّ يَوْمٍ - فِي حَدِيقَةِ الْقَصْرِ ، عَلَى كُرْسِيِّ مِنَ الْبَلُورِ ،
تَنْتَظِرُ عَوْدَةَ إِخْوَتِهَا مِنَ الْمَدْرَسَةِ ، وَتَتَسَلَّى بِالنَّظَرِ فِي كِتَابٍ عَجِيبٍ :
أَوْرَاقُهُ مِنَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ ، وَحُرُوفُهُ مِنَ الْجَوَاهِرِ الثَّمِينَةِ ، وَصُورُ
الْعَصَافِيرِ فِيهِ تُغَرِّدُ ، وَصُورُ الْحَيَوَانِ فِيهِ تَتَحَرَّكُ ، وَصُورُ النَّاسِ فِيهِ
تَمْشِي وَتَتَكَلَّمُ !

لَقَدْ كَانَ أَفْرَادُ هَذِهِ الْأُسْرَةِ الْمَلِكِيَّةِ ، صِغَارًا وَكِبَارًا ،
سُعْدَاءَ حَقًّا . وَلَكِنَّ السَّعَادَةَ لَا تَدُومُ . فَقَدْ مَاتَتِ الْمَلِكَةُ الطَّيِّبَةُ ،



٦
فَعَرَفُوا جَمِيعًا مَرَارَةَ الْحُزْنِ ، وَقَسْوَةَ الْأَلَمِ ، وَفَارَقَتْهُمْ السَّعَادَةُ ، الَّتِي
كَانُوا يَنْعَمُونَ بِهَا ...

وَأَخِيرًا فَكَّرَ الْمَلِكُ فِي الزَّوْاجِ مَرَّةً ثَانِيَةً ، لَعَلَّ زَوْجَتَهُ
الْجَدِيدَةَ أَنْ تُعِينَهُ ، وَتَكُونَ أُمًّا لِأَوْلَادِهِ : تَعْطِفُ عَلَيْهِمْ ، وَتَهْتَمُّ
بِشُؤْنِهِمْ . وَلَكِنَّ الْحُظَّ السَّيِّئَ ، أَوْقَعَهُ فِي زَوْجَةٍ مَا كَرِهَ ، اسْتَطَاعَتْ
بِسِحْرِهَا وَخِدَاعِهَا ، أَنْ تَجْعَلَهُ يُحِبُّهَا حُبًّا جَمًّا ، وَيَخْضَعُ لَهَا ، وَيُطِيعُهَا ،
وَيُنْفِذُ لَهَا رَغْبَاتِهَا كُلَّهَا .

وَكَانَتْ - كُلَّمَا جَلَسَتْ إِلَى زَوْجِهَا - تَقْصُّ عَلَيْهِ حِكَايَاتٍ
مَكْذُوبَةً ، عَنْ أَوْلَادِهِ ، وَتُحَدِّثُهُ عَنْهُمْ أَحَادِيثَ سَيِّئَةً ، لَا أَصْلَ لَهَا ،
حَتَّى غَضِبَ عَلَيْهِمْ ، وَأَصْبَحَ لَا يَهْتَمُّ بِهِمْ ، وَلَا يَسْأَلُ عَنْهُمْ .
وَقَدْ قَالَتْ لَهُ بَعْدَ أَسْبُوعَيْنِ مِنْ زَوَاجِهَا : « إِنَّ الْأَمِيرَةَ الصَّغِيرَةَ
قَدْ ضَعُفَتْ لَشِدَّةِ حُزْنِهَا عَلَى أُمِّهَا . وَإِنِّي أَرَى - حِرْصًا عَلَى صِحَّتِهَا
الْغَالِيَةِ - أَنْ تَذْهَبَ إِلَى الرَّيفِ ، فَتَتَسَلَّى ، وَتَنْسَى حُزْنَهَا ، وَتَسْتَرِدَّ

عَافِيَتَهَا . فَوَافَقَ الْمَلِكُ عَلَى رَأْيِ زَوْجَتِهِ ، وَأَرْسَلَ الطِّفْلَةَ
الْمِسْكِينَةَ إِلَى ضَيْعَةٍ بَعِيدَةٍ .

وَبِهَذِهِ الْحِيلَةِ تَخَلَّصَتِ الْمَلِكَةُ مِنَ الْأَمِيرَةِ ، وَبَدَأَتْ تُفَكِّرُ فِي
التَّخَلُّصِ مِنْ إِخْوَتِهَا ، حَتَّى تُصْبِحَ وَحْدَهَا صَاحِبَةَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ .
وَذَاتَ يَوْمٍ خَرَجَ الْمَلِكُ لِلصَّيْدِ ، فَدَعَتِ الْمَلِكَةُ الشَّرِيرَةَ الْأَمْرَاءَ ،
فَأَقْبَلُوا مُسْرِعِينَ ، وَوَقَفُوا أَمَامَهَا خَائِفِينَ ، فَأَخَذَتْ تَنْطِقُ بِالْفَاطِ





غَرِيبَةٍ ، ثُمَّ أَشَارَتْ إِلَيْهِمْ بِيَدَيْهَا وَقَالَتْ : « طِيرُوا كَعَصَافِيرَ كَبِيرَةٍ ،
مِنْ غَيْرِ صَوْتٍ ! » ...

وَفِي الْحَالِ صَارَ الْأُمَرَاءُ ، إِحْدَى عَشْرَةَ بَجْعَةً مُتَوَحِّشَةً ، وَصَرَخُوا
صَرْخَةً غَرِيبَةً ، وَطَارُوا فَوْقَ الْقَصْرِ وَالْحَدِيقَةِ ، ثُمَّ اخْتَفَوْا بَيْنَ
السَّحَابِ . وَاسْتَمَرُّوا طَائِرِينَ ، حَتَّى صَارُوا فَوْقَ الْمَزْرَعَةِ الْبَعِيدَةِ ،
الَّتِي تَعِيشُ فِيهَا أُخْتُهُمْ ، وَشَاهَدُوهَا وَهِيَ تَلْعَبُ ، أَمَامَ الْكُوخِ الَّذِي

يَقِيمُ فِيهِ ، فَحَلَقُوا فَوْقَهَا ، وَمَدُّوا رِقَابَهُمْ الطَّوِيلَةَ ، وَأَخَذُوا يُخْفِقُونَ
بِأَجْنِحَتِهِمْ . وَلَكِنَّهَا لَمْ تَرَهُمْ ، وَلَمْ تَسْمَعْ لَهُمْ صَوْتًا ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا
يَطِيرُونَ مِنْ غَيْرِ صَوْتٍ ! فَازْدَادَ حُزْنُهُمْ ، وَارْتَفَعُوا بَيْنَ الْغُيُومِ ، وَلَمْ
يَهْبِطُوا إِلَّا عَلَى شَاطِئِ بَحْرِ وَاسِعٍ ...

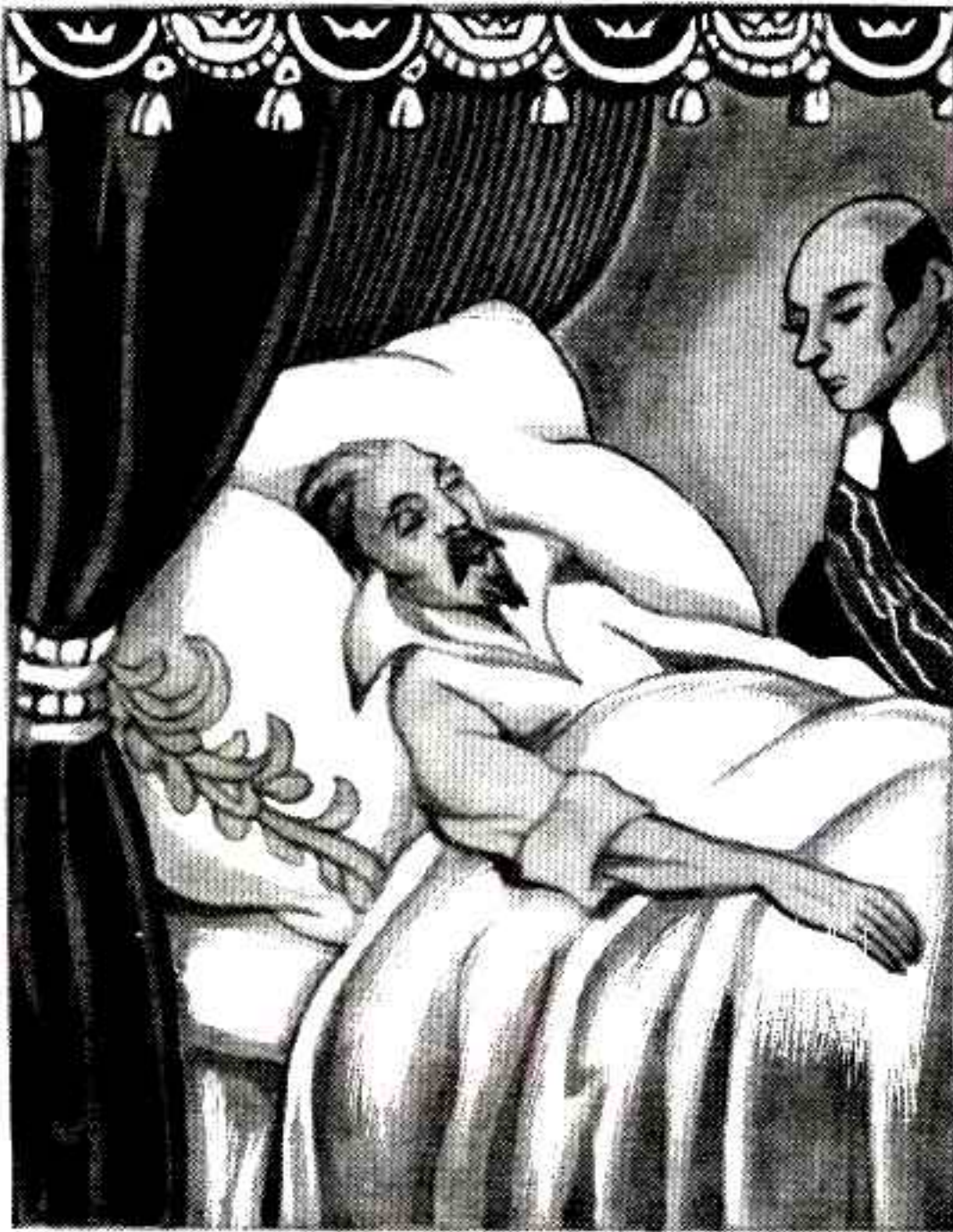
وَكَانَتِ الْأَمِيرَةُ الصَّغِيرَةُ ، تَقْضِي نَهَارَهَا أَمَامَ الْكُوْخِ ، تَلْعَبُ
بِأُورَاقِ الْأَشْجَارِ ، فَتَقْبُهَا ثُقُوبًا صَغِيرَةً ، وَتَضَعُهَا عَلَى عَيْنَيْهَا ، كَأَنَّهَا



مِنْظَارٌ ، وَتَتَجَّهُ نَحْوَ الشَّمْسِ ، فَتَخَيَّلُ أَنَّ إِخْوَتَهَا يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا ،
بِأَعْيُنِهِمُ الزُّرْقِ الْجَمِيلَةِ . فَإِذَا أَحَسَّتْ بِحَرَارَةِ الشَّمْسِ عَلَى خَدَّيْهَا ،
تَخَيَّلَتْ أَنَّ أَحَدَ إِخْوَتَهَا يُقَبِّلُهَا ! ...

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ ، وَكَبُرَتْ الْأَمِيرَةُ ، وَازْدَادَ حُسْنُهَا ، وَاكْتَمَلَ
جَمَالُهَا . وَكَانَتْ إِذَا سَارَتْ بِجَانِبِ شُجَيْرَاتِ الْوَرْدِ ، الَّتِي تُحِيطُ
بِالْكُوْخِ كَأَنَّهَا سُورٌ ، أَهْتَرَّتِ الشُّجَيْرَاتُ ، وَمَالَتْ نَحْوَهَا الْغُصُونُ ،
وَسَمِعَتْ النَّسِيمَ يَقُولُ : « أَيُّهَا الْوَرْدُ الْجَمِيلُ ! أَتَعْرِفُ فِي الدُّنْيَا مَنْ
هُوَ أَجْمَلُ مِنْكَ ؟ » فَيَرُدُّ الْوَرْدُ عَلَى النَّسِيمِ قَائِلًا : « نَعَمْ ! الْأَمِيرَةُ
الطَّاهِرَةُ أَجْمَلُ مِنِّي ! » ...

أَمَّا الْمَلِكُ فَقَدْ حَزَنَ لِفَقْدِ أَبْنَائِهِ ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ يَبْحَثُونَ عَنْهُمْ ،
فِي كُلِّ مَكَانٍ . وَلَمْ يَخْطُرْ بِبَالِهِ أَنَّ زَوْجَتَهُ قَدْ سَحَرَتْهُمْ ، وَطَرَدَتْهُمْ .
وَكُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يُعِيدَ ابْنَتَهُ مِنَ الرَّيفِ ، حَتَّى يُخَفِّفَ بِرُؤْيَيْهَا بَعْضَ
حُزْنِهِ ، كَانَتْ زَوْجَتُهُ تَقُولُ لَهُ : « لَا ، لَا تُرْجِعْهَا ... الْأَخْسَنُ أَنْ



تَبْقَى هُنَاكَ ، حَتَّى لَا تَعْرِفَ مَا
جَرَى لِإِخْوَتِهَا ، فَتَمُوتَ حُزْنًا !
ثُمَّ مَرِضَ الْمَلِكُ ، فَصَمَّمَ
عَلَى أَنْ يَرَى ابْنَتَهُ ، وَأَمَرَ
بِإِحْضَارِهَا . فَلَمْ تَسْتَطِعْ زَوْجَتُهُ
أَنْ تُخَالِفَهُ ، أَوْ تَعْصِيَ أَمْرَهُ .
وَعَادَتِ الْأَمِيرَةُ إِلَى قَصْرِ أَبِيهَا ،

وَكَانَتْ قَدْ بَلَغَتْ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهَا ، وَصَارَتْ أَجْمَلَ فَتَاةٍ فِي الدُّنْيَا .
فَلَمَّا رَأَتْهَا زَوْجَةُ أَبِيهَا ، أُمْتَلَأَ قَلْبُهَا بِالْغَيْرَةِ وَالْحَسَدِ ، وَفَكَّرَتْ فِي أَنْ
تَسْحَرَهَا ، كَمَا سَحَرَتْ إِخْوَتَهَا ؛ فَأَمَرَتْ بِإِعْدَادِ الْحَمَّامِ ، حَتَّى تُنْظَفَ
الْأَمِيرَةُ جِسْمُهَا مِنْ تُرَابِ السَّفَرِ ، وَتَرْتَدِيَ ثِيَابًا تَلِيقُ بِابْنَةِ الْمَلِكِ .
وَقَبْلَ أَنْ تَدْخُلَ الْأَمِيرَةُ الْحَمَّامَ ، دَخَلَتْهُ زَوْجَةُ أَبِيهَا ، وَمَعَهَا
ثَلَاثُ ضَفَادِعَ ، وَوَقَفَتْ أَمَامَ الْحَوْضِ ، وَقَبَلَتْ الضَّفَادِعَ ، وَوَضَعَتْهَا

بَيْنَ يَدَيْهَا ، وَأَخَذَتْ تَنْطِقُ بِكَلِمَاتٍ سِحْرِيَّةٍ غَرِيبَةٍ . ثُمَّ قَالَتْ لِلضُّفْدَةِ
 الْأُولَى : « قِفِي عَلَى رَأْسِ الْأَمِيرَةِ ، عِنْدَمَا تَنْزِلُ فِي الْحَوْضِ ،
 لِتُصْبِحَ غَيَّةً ! » . وَقَالَتْ لِلثَّانِيَةِ : « قِفِي عَلَى جَبِينِ الْأَمِيرَةِ ، لِتَصِيرَ
 دَمِيمَةً ، قَبِيحَةً الشَّكْلِ ، فَلَا يَعْرِفُهَا أَبُوهَا ! » وَقَالَتْ لِلثَّالِثَةِ : « قِفِي
 عَلَى قَلْبِ الْأَمِيرَةِ ، لِتَكُونَ شَرِيرَةً ، وَلِتَكُونَ أَلَامَهَا كَثِيرَةً ! » ...
 وَلَمَّا نَزَلَتِ الْأَمِيرَةُ فِي الْحَوْضِ ، قَفَزَتْ عَلَيْهَا الضُّفَادُ الْمَسْحُورَةُ ،
 وَلَكِنَّهَا لَمْ تَمَسَّهَا بِأَذَى ، لِأَنَّهَا مَا كَادَتْ تَلِمَسُ الْأَمِيرَةَ التَّقِيَّةَ ،
 حَتَّى تَحُولَتْ إِلَى ثَلَاثِ وَرَدَاتٍ جَمِيلَاتٍ ! ...

وَخَرَجَتِ الْأَمِيرَةُ مِنَ الْحَمَّامِ ، وَهِيَ أَجْمَلُ مِمَّا كَانَتْ . فَلَمَّا
 رَأَتْ زَوْجَةَ أَبِيهَا ، أَنَّ السَّحَرَ لَمْ يُوَثِّرْ فِيهَا ، دَعَتْهَا إِلَى حُجْرَتِهَا الْخَاصَّةِ ،
 وَأَظْهَرَتْ لَهَا رَغْبَتَهَا فِي أَنْ تُزَيِّنَهَا بِيَدَيْهَا ، قَبْلَ أَنْ تُقَابِلَ وَالِدَهَا .
 وَكَانَتِ الْمَلِكَةُ الشَّرِيرَةُ ، قَدْ جَهَّزَتْ سِحْرًا آخَرَ ، أَشَدَّ
 وَأَقْوَى ، فَطَلَّتْ وَجْهَ الْأَمِيرَةِ بِمَرْهَمٍ سِحْرِيٍّ ، وَمَشَطَتْ شَعْرَهَا بِمِشْطٍ



سِحْرِي ، وَدَلَكْتُ جِسْمَهَا بِعُصَارِهِ الْجُوزِ الْمَسْحُورِ ، فَتَغَيَّرَ شَكْلُ
الْأَمِيرَةِ تَغَيُّرًا تَامًا ، وَأَسْوَدَّ وَجْهَهَا ، وَأَبْيَضَّ شَعْرُهَا ، وَصَارَتْ
قَبِيحَةً دَمِيمَةً . فَلَمْ يَكِدِ الْمَلِكُ يَرَاهَا حَتَّى تَقَرَ مِنْهَا ، وَأَمَرَ
بِطَرْدِهَا وَإِبْعَادِهَا ، وَقَالَ إِنَّهَا لَيْسَتْ أَبْنَتُهُ !

وَلَمْ يَعْرِفْهَا أَحَدٌ مِمَّنْ فِي الْقَصْرِ ، وَهِيَ فِي شَكْلِهَا الْقَبِيحِ . . .
لَمْ يَعْرِفْهَا سِوَى الْكَلْبِ ! وَلَكِنْ مَاذَا يَسْتَطِيعُ هَذَا الْحَيَوَانُ أَنْ يَقُولَ ؟
وَمَاذَا يَقْدِرُ أَنْ يَفْعَلَ ؟ !

خَرَجَتِ الْأَمِيرَةُ بِأَكِيَّةِ الْعَيْنِ ، حَزِينَةً الْقَلْبِ ، وَأَخَذَتْ تَسِيرُ
حَيْثُ تَحْمِلُهَا قَدَمَاهَا ، وَعَبَرَتْ حُقُولًا وَمُسْتَنْقَعَاتٍ ، وَظَلَّتْ سَائِرَةً ،
حَتَّى أَقْبَلَ اللَّيْلُ ، وَضَلَّتِ الطَّرِيقَ . وَأَحْسَتْ بِالتَّعَبِ ، فَجَلَسَتْ بِجَوَارِ
شَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ ، وَأَسْنَدَتْ رَأْسَهَا إِلَى جَذْعِهَا . وَكَانَ النَّسِيمُ لَطِيفًا ،
وَالسُّكُونُ رَهيبًا ، فَلَا تَسْمَعُ غَيْرَ خَفِيفِ الشَّجَرِ ، وَخَرِيرِ الْمَاءِ ،
وَلَا تَرَى إِلَّا الْفَرَاشَاتِ ، فَوْقَ الْحَشَائِشِ وَالْأَعْشَابِ ، تَلْمَعُ بِضَوْئِهَا



الْأَخْضَرِ الضَّئِيلِ ، كَمَصَابِيحِ
صَغِيرَةٍ يُلَاعِبُهَا الْهَوَاءُ

وَعَلَبَهَا النَّوْمُ ، فَنَامَتْ عَلَى
الْعُشْبِ ، بِجَوَارِ الشَّجَرَةِ الْكَبِيرَةِ .
وَلَمَّا اسْتَيْقَظَتْ ، تَلَفَّتْ حَوْلَهَا ،
فَرَأَتْ - بَيْنَ الْأَشْجَارِ
الْمُتَشَابِكَةِ - طَرِيقًا ، شَقَّتُهُ

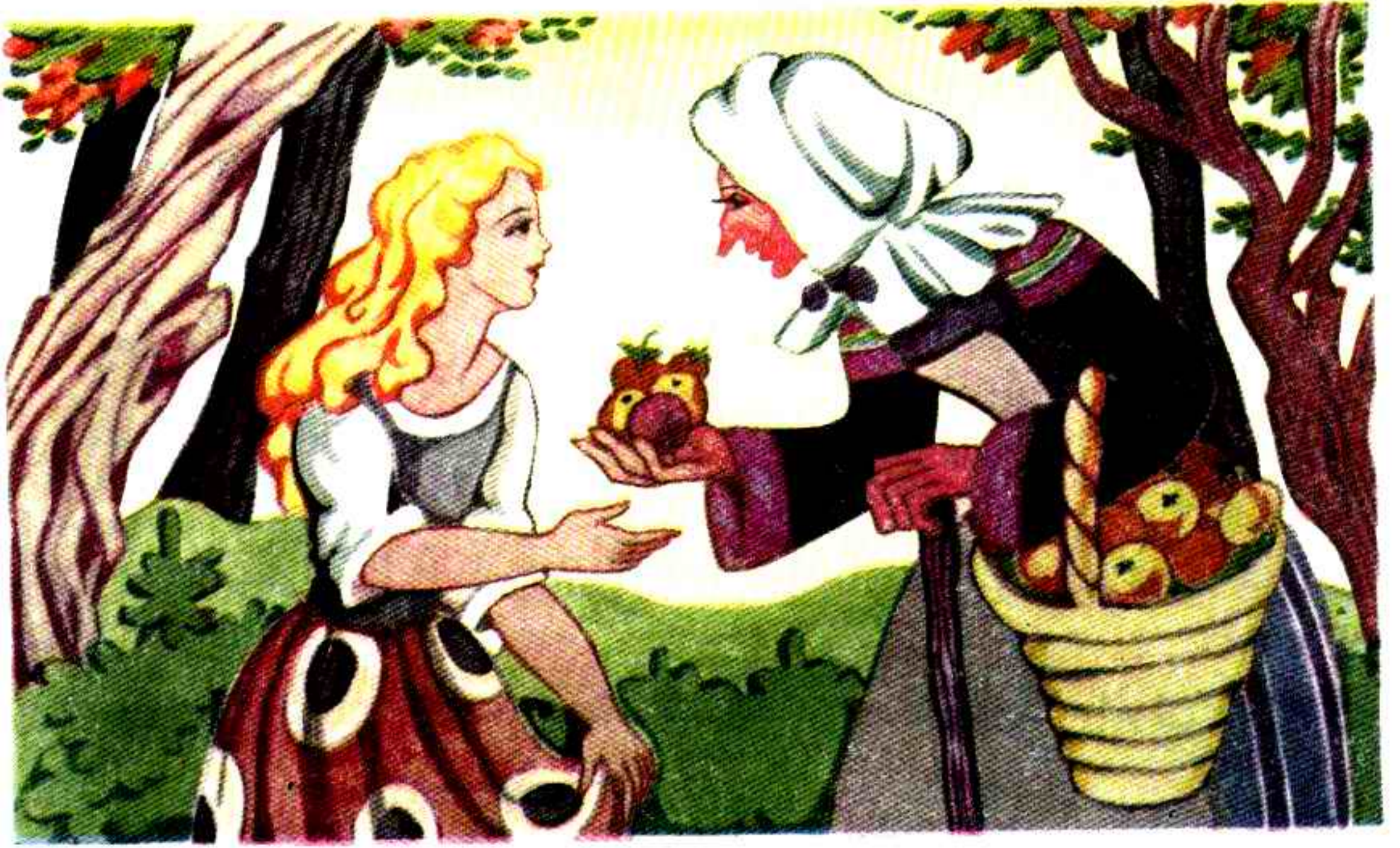
الْغِزْلَانُ ، بِكَثْرَةِ سَيْرِهَا فِيهِ ، فَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا : لَا بُدَّ أَنْ هَذَا
الطَّرِيقُ ، يُوَصِّلُ إِلَى الْمَاءِ الَّذِي أَسْمَعُ خَرِيرَهُ فَسَارَتْ فِيهِ ،
تُظِلُّهَا الْأَشْجَارُ ، وَتَتَسَاوَرُ عَلَيْهَا الشَّمَارُ .

وَبَعْدَ قَلِيلٍ ، رَأَتْ نَفْسَهَا أَمَامَ يَنْبُوعٍ رَائِقٍ صَافٍ ، فَأَنْحَنَتْ لِتَشْرَبَ ،
وَتَغْسِلَ وَجْهَهَا ؛ فَرَأَتْ فِي الْمَاءِ صُورَتَهَا الْقَبِيحَةَ ، فَارْتَعَبَتْ وَتَرَايَعَتْ ،
وَصَرَخَتْ وَبَكَتْ . ثُمَّ اتَّجَهَتْ نَحْوَ السَّمَاءِ ، وَأُظْهِرَتْ الصَّبْرُ بِمَا قَدَّرَ

اللَّهُ ، وَشَرِبْتُ ، وَغَسَلْتُ وَجْهَهَا ، فَإِذَا بِهِ يَعُودُ أَيْضًا جَمِيلًا ، كَمَا
كَانَ قَبْلَ أَنْ تَسْحَرَهَا زَوْجَةُ أَيْيَهَا ، فَخَلَعْتُ مَلَابِسَهَا ، وَنَزَلْتُ تَسْتَحِمُّ ،
فَلَمَّا خَرَجْتُ ، لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا كُلِّهَا ، أَمِيرَةٌ أَجْمَلُ مِنْهَا !

ثُمَّ أَخَذْتُ تَسِيرُ فِي الْغَابَةِ ، الَّتِي أَلْتَفَّتْ أَشْجَارُهَا ، وَتَشَابَكَتْ غُصُونُهَا ،
فَحَجَبَتْ أَشِعَّةَ الشَّمْسِ . . . وَكَانَ السُّكُونُ يَمَلَأُ الْمَكَانَ ، فَلَا نَسِيمَ
يُحَرِّكُ الْأُورَاقَ ، وَلَا عُصْفُورٌ يُزْفِرُ بَيْنَ الْأَشْجَارِ ، وَلَا صَوْتٌ غَيْرَ
صَوْتِ تَكْسِرِ الْأُورَاقِ الْجَافَةِ ، تَحْتَ قَدَمَيْهَا . . .

وَكُلَّمَا سَارَتْ أَشْتَدَّ الظَّلَامُ ، وَأَقْبَلَ اللَّيْلُ حَالِكَ السَّوَادِ ، فَأَمْتَلَأَ
قَلْبُ الْمِسْكِينَةِ بِالْخَوْفِ وَالْهَمِّ . وَلَكِنَّهَا سَلِمَتْ أَمْرَهَا إِلَى اللَّهِ ،
وَرَكَعَتْ تُصَلِّي ، ثُمَّ نَامَتْ بَيْنَ الْأَشْجَارِ ، كَمَا يَنَامُ الطَّائِرُ فِي الْقَفْصِ !
وَفِي الصَّبَاحِ ، تَابَعَتْ بَسِيرَهَا فِي الْغَابَةِ ، فَشَاهَدَتْ سَيِّدَةً عَجُوزًا ،
تَحْمِلُ سَلَةً ، فَفَرِحَتْ بِرُؤُوسِهَا ، وَأَقْرَبَتْ مِنْهَا ، وَحَيَّيَهَا ، فَرَدَّتْ عَلَيْهَا
الْعَجُوزُ تَحِيَّيَهَا ، وَقَدَّمَتْ لَهَا بَعْضَ الْفَاكِهَةِ مِنْ سَلَّتِهَا ، فَشَكَرَتْهَا



الأميرة ، وأنست بها ، وأخذت تسير بجوارها . ثم سألتها : « هل مرَّ بك - ياسيدي - أحد عشر أميرًا يزكبون جيادهم ؟ »
فأجابتها العجوز : « لا ، يابنتي ! لم أ شاهد أحدًا من الأمراء ،
الذين تتحدثين عنهم . ولكنني رأيت بالأمس ، إحدى عشرة جمعة
متوحشة ، على رؤوسها تيجان ذهبية ، تسبح في البحر الكبير ،
الذي في نهاية الغابة » ، فعادت الأميرة تسأل السيدة العجوز :

« وَكَيْفَ أَصِلُ إِلَى ذَلِكَ الْبَحْرِ ؟ » ، فَأَشَارَتْ الْعَجُوزُ بِيَدِهَا ، وَقَالَتْ :

« سِيرِي فِي الطَّرِيقِ الَّذِي عَنْ يَمِينِكَ ، حَتَّى تَصِلِيَ إِلَى النَّهْرِ ، ثُمَّ

سِيرِي مَعَهُ ، تَصِلِي إِلَى الْبَحْرِ الْكَبِيرِ ! » ...

وَمَشَتْ الْأُمِيرَةُ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى النَّهْرِ ، فَأَخَذَتْ تَسِيرُ وَشَاطِئُهُ

ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، حَتَّى أَنْتَهَتْ إِلَى مَصْبِهِ فِي الْبَحْرِ ، وَهُنَاكَ وَقَفَتْ تَتَأَمَّلُ

هَذَا الْمَاءَ ، الَّذِي لَا حَدَّ لَهُ ، الْمُمْتَدَّةَ زُرْقَتُهُ إِلَى آخِرِ مَا تَرَى عَيْنَاهَا .

وَتَلَفَّتْ يَمِينًا وَشِمَالًا ،

فَرَأَتْ عِنْدَ قَدَمَيْهَا - بَيْنَ الْأَشْيَاءِ

الَّتِي يَقْدِفُهَا الْمَوْجُ عَلَى

الشَّاطِئِ - إِحْدَى عَشْرَةَ رِيشَةً

بَيْضَاءَ ، فَجَمَعَهَا وَنَظَّمَتْ مِنْهَا

بَاقَةً ، وَأَخَذَتْ تُكَلِّمُهَا وَتَقُولُ :

« نَفْسِي تُحَدِّثُنِي أَنَّكَ - أَيْتَهَا

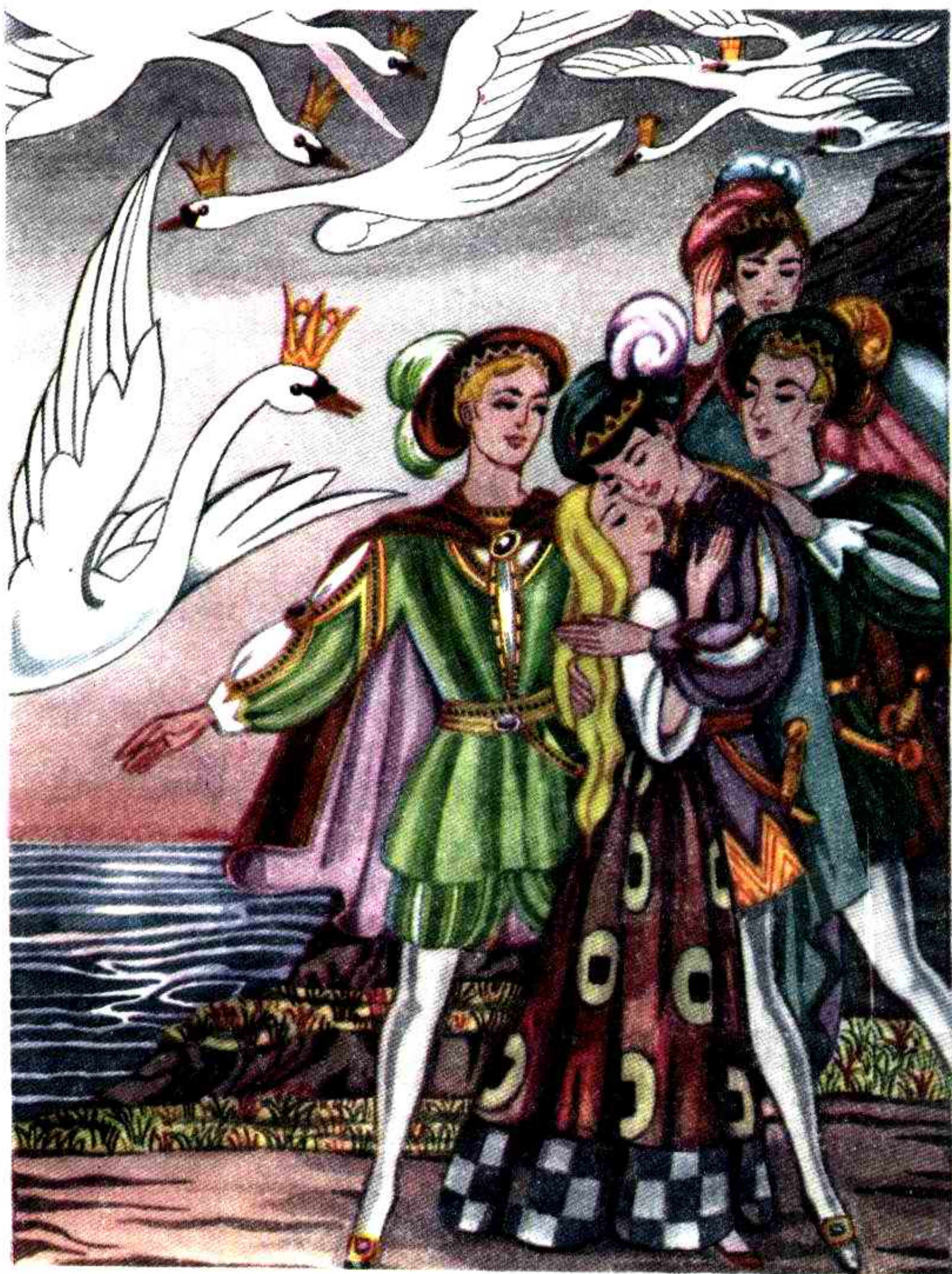


الرَّيْشَاتُ - تَعْرِفِينَ سِرَّ إِخْوَتِي !... لَيْتَكَ تَقُولِينَ لِي : مَاذَا جَرَى لَهُمْ ؟ وَأَيْنَ هُمْ ؟ »

وَقَبِيلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ، شَاهَدَتْ إِحْدَى عَشْرَةَ بَجْعَةً بَرِّيَّةً ، عَلَى رُؤُوسِهَا تَيْجَانٌ ذَهَبِيَّةٌ ، تَطِيرُ نَحْوَ الشَّاطِئِ ، كَأَنَّهَا شَرِيطٌ أَيْضُ طَوِيلٌ ... وَلَمَّا وَصَلَتْ هَذِهِ الْبَجَعَاتُ ، إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي تَقِفُ فِيهِ الْأَمِيرَةُ ، أَحَاطَتْ بِهَا ، وَأَخَذَتْ تُخَفِّقُ بِأَجْنِحَتِهَا الْكَبِيرَةِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُحْدِثَ صَوْتًا !... وَمَا كَادَتْ الشَّمْسُ تَغِيبُ ، وَتُخْتَفِي وَرَاءَ الْمَاءِ ، حَتَّى وَقَعَ رِيشُ الْبَجَعَاتِ ، وَصَارَتْ أَحَدَ عَشَرَ أَمِيرًا !... رَأَتْ الْأَمِيرَةُ إِخْوَتَهَا بِجَانِبِهَا ، فَصَاحَتْ فَرَحًا ، وَأَلْقَتْ بِنَفْسِهَا عَلَيْهِمْ ، وَصَارَتْ تُقَبِّلُهُمْ وَتُحْتَضِنُهُمْ ، وَتُنَادِي كُلًّا مِنْهُمْ بِاسْمِهِ . وَفَرِحُوا هُمْ كُلُّ الْفَرَجِ بِلِقَاءِ أُخْتِهِمُ الصَّغِيرَةِ ، وَأَخَذُوا يُقَبِّلُونَهَا ، وَهُمْ يَضْحَكُونَ مَرَّةً ، وَيَبْكُونَ مِنْ شِدَّةِ السُّرُورِ مَرَّةً أُخْرَى . وَقَصَّ الْإِخْوَةُ عَلَى أُخْتِهِمْ ، مَا فَعَلَتْ بِهِمْ زَوْجَةُ أَبِيهِمْ ، وَكَيْفَ

سَحَرْتُهُمْ ، وَصَيَّرْتُهُمْ بِجَعَاتٍ مُتَوَحِّشَاتٍ ، وَطَرَدْتُهُمْ مِنْ مَمْلَكَةِ
 آبِيهِمْ . وَقَصَّتِ الْأُخْتُ عَلَى إِخْوَتِهَا ، مَا حَدَّثَ لَهَا ، وَكَيْفَ أَبْعَدَتْهَا
 هَذِهِ الْمَلِكَةُ الشَّرِيرَةُ ، سِنِينَ طَوِيلَةً فِي الرَّيْفِ ، ثُمَّ كَيْفَ شَوَّهَتْ
 خَلْقَهَا ، وَقَبَّحَتْ شَكْلَهَا الْجَمِيلَ ، حَتَّى تَفَرَ مِنْهَا أَبُوهَا ، وَأَنْكَرَهَا ،
 وَطَرَدَهَا ... فَعَرَفُوا أَنَّهُمْ جَمِيعًا ، ضَحِيَّةُ كَرَاهِيَةِ زَوْجَةِ آبِيهِمْ وَسِحْرِهَا .
 وَقَالَ الْأَخُ الْكَبِيرُ لِأُخْتِهِ : « إِنَّا نَتَحَوَّلُ إِلَى بَجَعَاتٍ بَرِّيَّةٍ - كَمَا
 رَأَيْتِ - كُلَّمَا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ . فَإِذَا غَابَتْ ، عُدْنَا إِلَى حَالَتِنَا
 الْأُولَى ، وَصِرْنَا بَشَرًا . وَلِذَلِكَ يَجِبُ عَلَيْنَا دَائِمًا - قَبْلَ غُرُوبِ
 الشَّمْسِ - أَنْ نَبْحَثَ عَنْ مَكَانٍ أَمِينٍ ، تَقْضِي فِيهِ اللَّيْلَ . فَلَوْ غَابَتِ
 الشَّمْسُ ، وَنَحْنُ طَائِرُونَ بَيْنَ السُّحُبِ ، فَإِنَّا نَسْقُطُ فِي الْبَحْرِ وَنَفْرَقُ ،
 أَوْ تَقَعُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَتَتَكَسَّرُ عِظَامُنَا ... »

« وَنَحْنُ نَسْكُنُ بَلَدًا جَمِيلًا بَعِيدًا ... بَعِيدًا جِدًّا ، لَا نَصِلُ إِلَيْهِ ،
 إِلَّا إِذَا عَبَرْنَا هَذَا الْبَحْرَ الْوَاسِعَ ، وَطَرْنَا يَوْمَيْنِ كَامِلَيْنِ . وَلَيْسَ فِي



هَذَا الْبَحْرُ الْكَبِيرُ ، جَزِيرَةٌ تَقْضِي فِيهَا اللَّيْلُ ، وَإِنَّمَا فِيهِ صَخْرَةٌ ،
وَحِيدَةٌ صَغِيرَةٌ ، تَسْعُنَا وَاقِفِينَ مُتَلَاصِقِينَ . فَإِذَا ثَارَ الْبَحْرُ ، وَهَاجَتِ
الْأَمْوَاجُ ، غَمَرْتَنَا وَنَحْنُ وَاقِفُونَ . . . وَحَمْدًا لِلَّهِ عَلَى هَذَا الْمَلْجَأِ ،
الَّذِي تَقْضِي فِيهِ اللَّيْلُ ، وَسَطَ الْبَحْرِ ، بِأَجْسَامِنَا الْبَشَرِيَّةِ ، كُلَّمَا
أَرَدْنَا زِيَارَةَ وَطَنِنَا الْعَزِيزِ .

« إِنَّ زَوْجَةَ أَيْبِنَا الشَّرِيرَةَ ، حِينَ سَحَرْتَنَا ، سَمَحَتْ لَنَا أَنْ نَزُورَ
وَطَنَنَا ، زِيَارَةً وَاحِدَةً فِي السَّنَةِ ، وَسَمَحَتْ لَنَا أَنْ تَقْضِيَ فِي هَذِهِ
الْغَابَةِ أَحَدَ عَشَرَ يَوْمًا . وَمِنَ الْغَابَةِ نَرَى الْقَصْرَ الَّذِي شَهِدَ مَوْلِدَنَا ،
وَنُشَاهِدُ قُبَّةَ الْقَبْرِ الَّذِي دُفِنَتْ فِيهِ أُمُّنَا . . .

« وَقَدْ مَضَى عَلَيْنَا ، فِي هَذَا الْمَكَانِ ، تِسْعَةُ أَيَّامٍ ، وَلَمْ يَبْقَ لَنَا
إِلَّا يَوْمَانِ ، ثُمَّ نَطِيرُ إِلَى حَيْثُ نَعِيشُ طُولَ الْعَامِ . . . يَجِبُ أَنْ تَذْهَبِي
مَعَنَا ، إِلَى مَا وَرَاءَ هَذَا الْبَحْرِ الْكَبِيرِ ، فَنَعِيشُ كُلُّنَا هُنَاكَ ، فِي هَذَا
الْبَلَدِ الْبَعِيدِ . . . وَلَكِنْ كَيْفَ تَتِمَكَّنُ مِنْ أَخْذِكَ مَعَنَا ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا

زُورَقٌ وَلَا سَفِينَةٌ؟ ...»

وَسَهَرَ الْأُمَرَاءُ وَأُخْتُهُمْ طُولَ اللَّيْلِ يَتَحَدَّثُونَ ، وَيُفَكِّرُونَ فِي
طَرِيقَةٍ تُخَلِّصُهُمْ مِنْ سِحْرِ زَوْجَةِ أَبِيهِمْ ، وَتُعِيدُهُمْ إِلَى وَطَنِهِمْ . فَلَمَّا
أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ ، تَحَوَّلَ الْأُمَرَاءُ إِلَى بَجَعَاتٍ مُتَوَحِّشَاتٍ ، وَحَلَقُوا فِي
الْهَوَاءِ ، إِلَّا أَصْغَرَهُمْ ، فَإِنَّهُ بَقِيَ بِجَانِبِ أُخْتِهِ ، وَوَضَعَ رَأْسَهُ فِي
حِجْرِهَا ، فَأَخَذَتْ هِيَ تَدَاعِبُ جَنَاحَيْهِ ، وَالْذُّمُوعُ تَتَسَاقَطُ مِنْ عَيْنَيْهَا ...
وَقَبِيلَ الْغُرُوبِ رَجَعَ الْإِخْوَةُ الْعَشْرَةُ ، وَأَحَاطُوا بِأُخْتِهِمْ وَأَخِيرِهِمْ
الصَّغِيرِ ، حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ تَمَامًا ، فَعَادُوا إِلَى هَيْئَتِهِمْ الطَّبِيعِيَّةِ ...
وَقَالَ الْأَخُ الْكَبِيرُ : « غَدًا نُسَافِرُ ، وَلَنْ نَعُودَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ ،
إِلَّا بَعْدَ سَنَةٍ ، وَلَا نَحِبُّ أَنْ نَتْرُكَكَ وَحْدَكَ هُنَا ... إِنَّ جَنَاحَيْ
تَحْمِلَانِكَ فَوْقَ الْغَابَةِ ، وَإِنْ أَجْنَحْتَنَا مُجْتَمِعَةً ، تَسْتَطِيعُ أَنْ تَعْبُرَ بِكَ
الْبَحْرَ ... فَمَا رَأَيْكَ ؟ » فَقَالَتِ الْأَمِيرَةُ : « خُذُونِي مَعَكُمْ . أَنَا
لَا أَطِيقُ الْحَيَاةَ بَعِيدًا عَنْكُمْ ! »



قَضَى الْإِخْوَةُ اللَّيْلَ كُلَّهُ ، يَصْنَعُونَ شَبَكَةً مِنْ سِيقَانِ الْخِزْرَانِ ،
وَأَغْصَانِ الصَّفْصَافِ اللَّيْنَةِ ... ثُمَّ نَامَتِ الْأَمِيرَةُ فَوْقَ الشَّبَكَةِ . فَلَمَّا
أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ ، وَتَحَوَّلَ الْأُمَرَاءُ إِلَى بَجَعَاتٍ ، حَمَلُوا الشَّبَكَةَ
بِمَنَاقِيرِهِمْ ، وَالْأَمِيرَةُ نَائِمَةٌ فَوْقَهَا ، وَطَارُوا بَيْنَ السُّحُبِ . وَحَلَّقَ
الْأَخُ الصَّغِيرُ ، فَوْقَ رَأْسِ أُخْتِهِ النَّائِمَةِ ، لِيَحْجُبَ عَنْهَا أَشْعَةَ الشَّمْسِ !
أَسْتَيْقَظَتِ الْأَمِيرَةُ ، فَرَأَتْ نَفْسَهَا طَائِرَةً فَوْقَ الْبَحْرِ ، بَيْنَ إِخْوَتِهَا



الْبَجَعَاتِ الْمُتَوَحِّشَاتِ ، وَوَجَدَتْ بِجَانِبِهَا - عَلَى الشَّبَكَةِ - غُصْنًا مَمْلُوءًا
 بِالتُّفَّاحِ ، وَشَاهَدَتْ أَخَاهَا الصَّغِيرَ ، يُرْفِرُ فَوْقَهَا ، وَيَحْجُبُ عَنْ وَجْهِهَا
 أَشْعَةَ الشَّمْسِ ، فَتَبَسَّمَتْ لَهُ ، وَكَأَنَّهَا فِي حُلْمٍ جَمِيلٍ ! ...
 وَارْتَفَعَتِ الْبَجَعَاتُ ارْتِفَاعًا عَظِيمًا ، حَتَّى ظَهَرَتْ لَهُمُ السَّفِينَةُ
 الْكَبِيرَةُ ، الَّتِي كَانَتْ تَشُقُّ الْبَحْرَ تَحْتَهُمْ ، كَأَنَّهَا عُصْفُورٌ صَغِيرٌ فَوْقَ الْمَاءِ !
 ثُمَّ مَالَتِ الشَّمْسُ إِلَى الْمَغِيبِ ، وَاقْتَرَبَ اللَّيْلُ ، وَلَمْ تَظْهَرِ الصَّخْرَةُ

الصَّغِيرَةُ الْوَحِيدَةُ ، الَّتِي فِي وَسْطِ الْبَحْرِ ... وَرَأَتْ الْأَمِيرَةَ إِخْوَتَهَا
يَهْزُونَ أَجْنِحَتَهُمْ هَزًّا عَنِيفًا ، وَيَهْبِطُونَ مُسْرِعِينَ ، كَأَنَّهُمْ يَسْقُطُونَ ،
ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَرْتَفِعُونَ . فَتَدِمَّتْ ، وَأَخَذَتْ تَبْكِي ، وَتَلُومُ نَفْسَهَا ؛ لِأَنَّهَا
كَانَتْ السَّبَبَ فِي طَيْرَانِ إِخْوَتِهَا طَيْرَانًا بَطِيئًا ...

يَا لِلْحَسْرَةِ ! يَا لِلْمُصِيبَةِ ! فَلَوْ غَابَتِ الشَّمْسُ - وَهُمْ لَا يَزَالُونَ
طَائِرِينَ - لَعَادُوا بَشَرًا ، وَلَسَقَطُوا جَمِيعًا فِي الْبَحْرِ وَغَرِقُوا !
وَفَجْأَةً أُمْتَلَأَتِ السَّمَاءُ بِالسُّحُبِ السُّودِ ، وَلَمَعَ الْبَرْقُ ، وَعَصَفَتِ
الرَّيْحُ عَصْفًا شَدِيدًا ، وَأَوْشَكَتِ الشَّمْسُ أَنْ تَلِمَسَ الْبَحْرَ . فَجَزَعَتِ
الْأَمِيرَةُ وَأَضْطَرَبَتْ ، وَزَادَ بُكَاءُهَا ، وَارْتَفَعَ دُعَاؤُهَا إِلَى اللَّهِ ...
وَحِينَمَا ظَهَرَتِ الصَّخْرَةُ ، كَانَ قُرْصُ الشَّمْسِ قَدْ اخْتَفَى نِصْفُهُ
فِي الْبَحْرِ ... وَعِنْدَمَا وَضَعَتِ الْبَجَعَاتُ أَرْجُلَهَا عَلَى الصَّخْرَةِ ، كَانَتْ
الشَّمْسُ قَدْ صَارَتْ كَنَجْمٍ صَغِيرٍ . فَلَمَّا غَابَتْ ، وَأَنْطَفَأَ نُورُهَا ، كَاخِرِ
شَرَارَةٍ فِي وَرَقَةٍ تَحْتَرِقُ ، رَأَتْ الْأَمِيرَةُ نَفْسَهَا وَاقِفَةً ، وَحَوْلَهَا إِخْوَتَهَا ،

كُلُّ مِنْهُمْ يُمْسِكُ يَدَ أَخِيهِ ، وَالْأَمْوَاجُ تَلَطِّمُ الصَّخْرَةَ ، وَتَعْلُو فَوْقَ
رُؤُوسِهِمْ ، وَالْبَرْقُ يَلْمَعُ ، وَالرَّعْدُ يُدَوِّي ، وَالْمَطَرُ يَنْهَمِرُ غَزِيرًا .
قَضَتِ الْأَمِيرَةُ وَإِخْوَتُهَا اللَّيْلَ وَاقِفِينَ ، مُتَلَاصِقِينَ ، يَدْعُونَ اللَّهَ ،
وَيَسْأَلُونَهُ أَنْ يُنْقِذَهُمْ ، مِنْ هَذِهِ الْعَاصِفَةِ الْمُفَاجِئَةِ . وَعِنْدَ الْفَجْرِ
هَدَأَتِ الرِّيحُ ، وَصَفَتِ السَّمَاءُ . . . ثُمَّ أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ ، فَطَارَتِ
الْبَجَعَاتُ ، حَامِلَةً الْأَمِيرَةَ فَوْقَ الشَّبَكَةِ .

وَفِي أَثْنَاءِ طَيْرَانِهِمْ ، شَاهَدَتِ الْأَمِيرَةُ جِبَالًا ثَلْجِيَّةً ، كَأَنَّهَا سَابِجَةٌ
فِي الْفَضَاءِ ، وَبَيْنَهَا قَصْرٌ فَخْمٌ ، عَالٍ عَلُوُّ الْجِبَالِ نَفْسِهَا ، حَوْلَهُ غَابَاتٌ
مُمْتَدَّةٌ ، وَبَسَاتِينُ وَاسِعَةٌ ، فَسَأَلَتْ إِخْوَتَهَا : « أَتَنْزِلُونَ هُنَا ؟ » فَهَزُّوا
رُؤُوسَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ : لَا . . . وَمَا زَالُوا طَائِرِينَ ، حَتَّى عَبَرُوا
الْبَحْرَ الْكَبِيرَ . وَعِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ هَبَطُوا أَمَامَ كُوْخٍ صَغِيرٍ ،
تُحِيطُ بِهِ الْأَعْشَابُ وَالْأَزْهَارُ ، كَأَنَّهَا بِسَاطٌ أَخْضَرُ مَنْقُوشٌ .
وَتَنَاوَلُوا عَشَاءَهُمْ ، مِنْ الْفَوَاكِهِ الْكَثِيرَةِ ، الَّتِي تَمَلَأُ الْمَكَانَ ،

وَجَلَسُوا يَتَسَامَرُونَ سَاعَةً . ثُمَّ أَمْسَكَ الْأَخُ الصَّغِيرُ يَدَ أُخْتِهِ ، وَذَهَبَ
بِهَا إِلَى الْحَجَرَةِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِنَوْمِهَا ، وَقَبَّلَهَا ، وَقَالَ لَهَا : « لِتَكُنْ
أَحْلَامُكَ جَمِيلَةً مُبْهِجَةً ، يَا أُخْتِي الْعَزِيزَةُ ! » ...

نَامَتِ الْأَمِيرَةُ ، وَهِيَ تُفَكِّرُ فِي إِخْوَتِهَا ، فَرَأَتْ فِي نَوْمِهَا سَيِّدَةً
جَمِيلَةً ، تَهْبِطُ مِنَ السَّمَاءِ ، وَتَقْتَرِبُ مِنْهَا ، وَتَقُولُ لَهَا : « فِي
أَسْطِطَاعَتِكَ - أَيَّتُهَا الْفَتَاةُ الطَّاهِرَةُ - أَنْ تُخَلِّصِي إِخْوَتَكَ مِنْ
سِحْرِهِمْ ، لَوْ تَشَجَّعْتَ ، وَثَابَرْتَ ، وَتَحَمَّلْتَ الْأَوْجَاعَ وَالْآلَامَ ...
أَنْظِرِي ! إِنَّ حَوْلَ هَذَا الْكُوخِ ، نَبَاتًا ذَا وَبَرٍ حَادٍّ ، يَقْرُصُ مَنْ يَمَسُّهُ ،
وَلِهَذَا يُسَمِّيهِ النَّاسُ الْقُرَّاصَ . إِنَّهُ كَثِيرٌ ، وَلَكِنَّ أَجُودَهُ مَا يَنْبُتُ
حَوْلَ الْقُبُورِ . . . لَا تَنْسِي شَيْئًا مِمَّا أَقُولُ لَكَ الْآنَ : أَقْطِنِي هَذَا
الْقُرَّاصَ . . . سَوْفَ تَمْتَلِي بِشَرَّتِكَ بِالْقُرُوجِ ، كُلَّمَا لَمَسْتِهِ ، وَلَكِنَّهُ
وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يُخَلِّصُ إِخْوَتَكَ . . . أَغْزِلِي هَذَا الْقُرَّاصَ خُيُوطًا ،
ثُمَّ اصْنَعِي مِنْ خُيُوطِهِ ، أَحَدَ عَشَرَ قَمِيصًا ، بِأَكْثَامٍ طَوِيلَةٍ ، وَأَلْقِي هَذِهِ



الْقُمْصَانِ عَلَى إِخْوَتِكَ، فَيَبْطُلَ السَّحَرُ، وَيَعُودُوا بَشَرًا كَمَا كَانُوا...
 « وَإِذَا بَدَأْتَ الْعَمَلَ فَاصْمِتِي، وَلَا تَتَكَلَّمِي أَبَدًا، حَتَّى تَنْتَهِيَ
 الْقُمْصَانُ كُلُّهَا، وَلَوْ اسْتَمَرَ الْعَمَلُ سِنِينَ طَوِيلَةً... إِنَّ حَيَاةَ إِخْوَتِكَ
 مُعَلَّقَةٌ بِلسَانِكَ، وَإِنَّ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَلْفُظِينَهَا، قَبْلَ انْتِهَاءِ الْعَمَلِ،
 تَصِيرُ خَنْجَرًا قَاتِلًا، يُصِيبُ قَلْبَ إِخْوَتِكَ، وَيَقْضِي عَلَيْهِمْ...
 لَا تَنْسِي شَيْئًا مِمَّا نَصَحْتُكَ بِهِ... تَأَمَّلِي! هَذَا هُوَ الْقُرَاصُ!...
 اسْتَيْقِظَتِ الْأَمِيرَةُ فِرْعَةَ مَذْعُورَةً، وَكَأَنَّ نَارًا قَدْ أَصَابَتْ يَدَهَا،
 لِأَنَّ السَّيِّدَةَ الْجَمِيلَةَ لَمَسَتْهَا بِقُرَاصٍ كَانَ مَعَهَا!...
 وَسَارَتِ الْأَمِيرَةُ فِي الْبَسَاتِينِ الْوَاسِعَةِ، الَّتِي حَوْلَ الْكُوخِ، فَرَأَتْ
 شَجِيرَاتِ قُرَاصٍ، تُشَبِّهُ مَا شَهِدَتْهُ فِي حُلُمِهَا، فَسَجَدَتْ شُكْرًا لِلَّهِ،
 ثُمَّ أَخَذَتْ تَجْمَعُ الشُّجَيْرَاتِ الْمُحْرِقَةَ، مُتَحَمِّلَةً الْأَلَمَ الشَّدِيدَ، رَغْبَةً
 فِي خَلَاصِ إِخْوَتِهَا الْأَعْزَاءِ؛ ثُمَّ سَحَقَتْ سِيقَانَ الشُّجَيْرَاتِ، بِرِجْلَيْهَا
 الْعَارِيَتَيْنِ، وَكَوْنَتْ مِنْهَا خُيُوطًا خَضْرَاءَ، وَبَدَأَتْ تَنْسِجُ الْقُمْصَانَ...

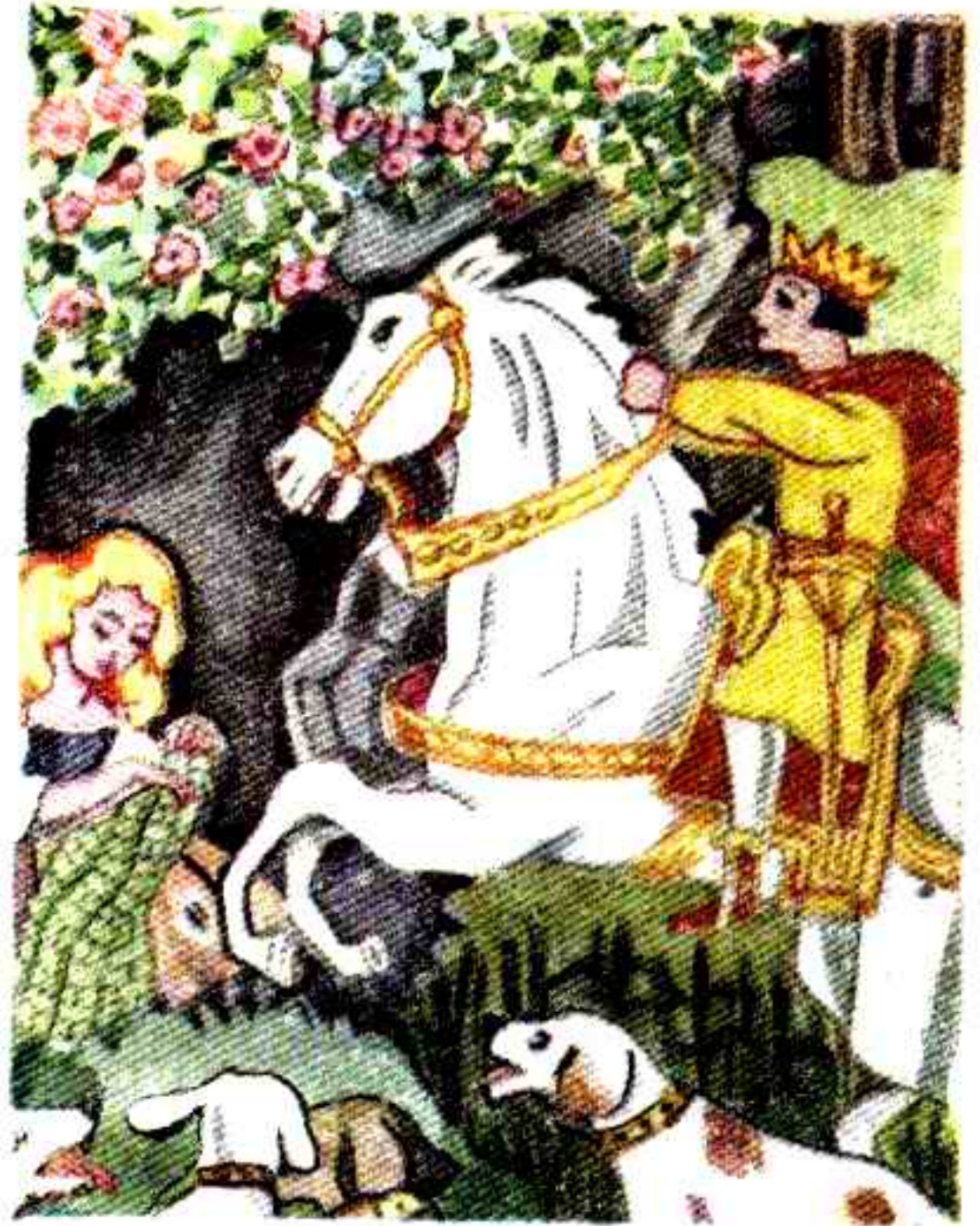
وَلَمَّا عَادَ إِخْوَتُهَا ، عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ، أَفْزَعَهُمْ أَنْ رَأَوْا أُخْتَهُمْ
صَامِتَةً لَا تَتَكَلَّمُ . وَظَنُّوا أَنَّ هَذَا سِحْرٌ جَدِيدٌ ، مِنْ عَمَلِ زَوْجَةِ
أَبِيهِمْ ، فَحَزَنُوا حُزْنًا شَدِيدًا ، وَلَكِنَّهَا أَشَارَتْ إِلَيْهِمْ بِرَأْسِهَا ، وَأَرْشَهُمْ
مَا تَنْسِجُ يَدَيْهَا ، فَفَهِمُوا أَنَّهَا قَدْ نَذَرَتْ الصَّمْتَ .

أَمَّا الْأَخُ الصَّغِيرُ ، فَارْتَمَى عَلَى أُخْتِهِ ، وَأَخَذَ يَحْتَضِنُهَا ، وَيَبْكِي ،
فَكَانَتْ دُمُوعُهُ ، إِذَا سَالَتْ عَلَى قُرُوحِهَا ، شَفَتْهَا وَأَزَالَتْ أَثَرَهَا !
وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، يَتِمَّا كَانَتِ الْأَمِيرَةُ أَمَامَ الْكُؤُخِ ، جَالِسَةً تَنْسِجُ
كِعَادَتِهَا ، إِذْ سَمِعَتْ صَوْتَ بُوقٍ يُدَوِّي فِي الْغَابَةِ ، فَارْتَاعَتْ ،
وَمَلَأَ الْخَوْفُ قَلْبَهَا . . . وَأَخَذَ صَوْتُ الْبُوقِ يَقْتَرِبُ شَيْئًا فَشَيْئًا ،
وَيَقْتَرِبُ مَعَهُ نُبَاحُ كِلَابٍ ، فَجَمَعَتِ الْقُرَاصُ ، وَحَزَمَتْهُ ،
وَجَلَسَتْ عَلَيْهِ .

وَفَجْأَةً ظَهَرَ كَلْبٌ كَبِيرٌ ، مِنْ كِلَابِ الصَّيْدِ ، وَتَبِعَهُ ثَانٍ وَثَالِثٌ وَرَابِعٌ .
وَأَحَاطَتِ الْكِلابُ بِالْأَمِيرَةِ ، وَأَخَذَتْ تَنْبِجُ ، وَبَعْدَ لَحْظَاتٍ ، وَصَلَ

الصَّيَادُونَ ، وَهُمْ مَلِكُ الْبِلَادِ
وَبَعْضُ حَاشِيَتِهِ وَأَصْدِقَائِهِ .

نَظَرَ الْمَلِكُ إِلَى الْأَمِيرَةِ ،
فَإِذَا هِيَ أَجْمَلُ فَتَاةٍ ، رَأَاهَا فِي
حَيَاتِهِ ، فَمَالَ قَلْبُهُ إِلَيْهَا ، وَتَقَدَّمَ
نَحْوَهَا ، وَسَأَلَهَا : « مَنْ أَنْتِ أَيْتُهَا
الْفَتَاةُ اللَّطِيفَةُ ؟ ! »



هَزَّتِ الْأَمِيرَةُ رَأْسَهَا ، وَلَمْ تَنْطِقْ ، فَقَالَ الْمَلِكُ : « تَكَلِّمِي ! ...
كَيْفَ تَعِيشِينَ هُنَا ؟ وَمَعَ مَنْ تَعِيشِينَ ؟ » فَظَلَّتْ صَامِتَةً ، فَعَادَ الْمَلِكُ
يَقُولُ : « لَا يَلِيقُ بِفَتَاةٍ جَمِيلَةٍ مِثْلِكَ ، أَنْ تَعِيشَ فِي هَذَا الْكُوخِ ...
تَعَالِي مَعِي ... لَوْ ظَهَرَ أَنَّكَ طَيِّبَةٌ ، مِثْلَمَا أَنْتِ جَمِيلَةٌ ، فَإِنِّي أُسْكِنُكَ
أَفْخَمَ قَصْرٍ ، وَأُلْبِسُكَ الْحَرِيرَ وَالْمُخَمَلَ ، وَأَضَعُ عَلَى رَأْسِكَ تَاجًا ،
مِنَ الذَّهَبِ وَالْجَوَاهِرِ النَّادِرَةِ » . ثُمَّ أَمَرَ أَحَدَ الضُّبَّاطِ ، فَحَمَلَ



الْأَمِيرَةَ ، وَهِيَ تَبْكِي وَتَتَلَوَّى ، وَأَرْكَبَهَا وَرَاءَ الْمَلِكِ ...
 وَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى الْقَصْرِ الْمَلِكِيِّ ، أَخَذَتِ الْوَصِيفَاتُ يُزَيِّنَنَّ الْأَمِيرَةَ ،
 وَيُلْبِسْنَهَا ثِيَابًا مَلَكِيَّةً فَاخِرَةً ، وَيُجَدِّدْنَ شَعْرَهَا بِالْجَوَاهِرِ ... وَقَدْ
 وَضَعْنَ فِي يَدَيْهَا قُفَّازَيْنِ رَقِيقَيْنِ نَاعِمَيْنِ ، حَتَّى لَا تَظْهَرَ الْقُرُوحُ
 الَّتِي فِيهِمَا ... وَبَدَتْ الْأَمِيرَةُ فِي الثِّيَابِ الْحَرِيرِيَّةِ وَالْجَوَاهِرِ الشَّمِينَةِ ،
 أَجْمَلَ فَتَاةٍ فِي الدُّنْيَا . وَأُعْجِبَ كُلُّ مَنْ فِي الْقَصْرِ ، بِجَمَالِهَا وَكَمَالِهَا ،
 وَكَانُوا جَمِيعًا يَنْحَنُونَ أَمَامَهَا ، وَيَتَمَنَّوْنَ لَوْ أَنَّهَا تَنْطِقُ وَتَكَلِّمُهُمْ ...
 أَمَّا الْمَلِكُ فَقَدْ أُمْتَلَأَ قَلْبُهُ بِحُبِّهَا ، وَأَحَسَّ أَنََّّهُ لَا يَسْتَطِيعُ الْبُعْدَ
 عَنْهَا . وَكَانَ شَابًّا فَتِيًّا ، لَمْ يَتَزَوَّجْ ، فَأَخْتَارَهَا زَوْجَةً لَهُ ، وَشَرِيكَةً لِحَيَاتِهِ ،
 فَعَمَّتِ الْأَفْرَاحُ الْبِلَادَ ، وَأُقِيمَتِ الزِّيِّنَاتُ ، وَصَدَحَتِ الْمَوْسِيقَى ، وَغَنَّتِ
 الْمُغَنِّيَّاتُ ، وَرَقَصَتِ الرَّاqِصَاتُ ، وَوُزِّعَتْ عَلَى الْفُقَرَاءِ الْمَلَابِسُ وَالْهَبَاتُ .
 وَأَصْبَحَتِ ابْنَةُ الْغَابَةِ مَلِكَةَ الْبِلَادِ ، وَلَكِنَّهَا ظَلَّتْ صَامِتَةً ،
 لَا تَنْطِقُ وَلَا تَتَبَسَّمُ ، وَلَا يَظْهَرُ عَلَى وَجْهِهَا غَيْرُ الْحُزْنِ .



وَبَعْدَ أَنْ أَنْتَهَى الْحَفْلُ، سَارَ
الْمَلِكُ وَعَرُوسُهُ، حَتَّى وَصَلَا
إِلَى إِحْدَى الْغُرَفِ، فَفَتَحَهَا، وَقَالَ
لَهَا: «هَذِهِ حُجْرَتُكَ الْخَاصَّةُ!»
وَأَدَارَتْ الْمَلِكَةُ نَظَرَهَا فِي
الْغُرْفَةِ، فَرَأَتْهَا مَفْرُوشَةً بِبِسَاطٍ
ثَمِينٍ أَخْضَرَ مَنْقُوشٍ، يُشْبِهُ

الْعُشْبَ وَالزَّهْرَ، الَّذِي حَوْلَ كُوخِ إِخْوَتِهَا. وَشَاهَدَتْ عَلَى الْبِسَاطِ
حُزْمَةَ خُيُوطِ الْقُرَاصِ، وَالْقُمُصَانَ الَّتِي نَسَجَتْهَا، فَأَحْمَرَ خَدَّاهَا،
وَمَالَتْ عَلَى يَدِ الْمَلِكِ وَقَبَّلَتْهَا، دُونَ أَنْ تَتَكَلَّمَ، وَلَكِنَّ نَظَرَاتِهَا
كَانَتْ تَنْطِقُ بِحَنَانٍ عَمِيقٍ، وَحُبٍّ شَدِيدٍ...

وَقَالَ الْمَلِكُ لِعَرُوسِهِ: «سَتَجِدِينَ هُنَا كُلَّ مَا تُحِبِّينَ، وَسَتَعِيشِينَ
أُسْعَدَ حَيَاةٍ... وَلَقَدْ أَمَرْتُ بِإِخْضَارِ هَذِهِ الْحُزْمَةِ، وَتِلْكَ الْقُمُصَانِ،

لَأَنِّي رَأَيْتُكَ تَحْرِصِينَ عَلَيْهَا ... « فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بَعَيْنَيْنِ بَاكِتَيْنِ ، وَلَمْ
تَتَكَلَّمْ ، لِأَنَّ أَيَّ كَلِمَةٍ تَقُولُهَا تُهْلِكُ إِخْوَتَهَا !

وَكُلَّمَا مَرَّتِ الْأَيَّامُ ، أَزْدَادَتْ حُبًّا لِلْمَلِكِ ، وَأَزْدَادَ الْمَلِكُ حُبًّا لَهَا ،
فَقَدْ كَانَتْ تَفْعَلُ كُلَّ مَا تَسْتَطِيعُ لِتُسْعِدَهُ ، وَتُدْخِلَ السُّرُورَ إِلَى قَلْبِهِ .
إِمَّا حَدِيثُهَا مَعَهُ ، وَمَعَ الْوَصِيفَاتِ وَالْخَدَمِ ، فَكَانَ بِحَرَكَاتِ يَدَيْهَا ،
وَإِشَارَاتِ عَيْنَيْهَا .

وَفِي سَكُونِ اللَّيْلِ ، كَانَتْ تَذْهَبُ إِلَى حُجْرَتِهَا الْخَاصَّةِ ، وَتَبِيتُ
سَاهِرَةً إِلَى الصَّبَاحِ تَنْسِجُ ، حَتَّى أَتَمَّتْ سِتَّةَ قُمْصَانٍ ، وَبَدَأَتْ تَنْسِجُ
السَّابِعَ ... ثُمَّ أَتَمَّتْ الْخِيطُ ! فَمَاذَا تَفْعَلُ ، وَالْقُرَاصُ الْجَيِّدُ لَا يَنْبُتُ
إِلَّا حَوْلَ الْمَقَابِرِ ، وَمِنْ الْوَاجِبِ أَنْ تَقْطِفَهُ بِنَفْسِهَا ؟ ...

قَطَعَتِ الدَّهَالِيزَ الطَّوِيلَةَ ، وَسَارَتْ فِي الْحَدِيقَةِ ، تَحْتَ ضَوْءِ الْقَمَرِ ،
وَهِيَ تَرْجُفُ ، كَمَنْ يُقَدِّمُ عَلَى خَطِيئَةٍ كَبِيرَةٍ ، ثُمَّ خَرَجَتْ إِلَى الشَّوَارِعِ
الْخَالِيَةِ الْمُوَحِشَةِ ، وَأَخَذَتْ تَمْشِي ، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى الْقُبُورِ ... وَهَنَّاكَ



رَأَتْ جَمَاعَةً مِنَ السَّاحِرَاتِ ، تَمْشِي بَيْنَ الْمَدَافِنِ ، فَلَمَّا
 مَرَّتْ بِهِنَّ لَمْ تَخَفْ مِنْ شَكْلِهِنَّ الْمُخِيفِ وَنَظَرَاتِهِنَّ الْقَاسِيَةِ ،
 وَلَا رَدَّتْ عَلَى أَسْئَلَتِهِنَّ الْكَثِيرَةِ ، بَلْ أَخَذَتْ تَسِيرُ بَيْنَهُنَّ
 صَامِتَةً ، وَمَضَتْ تَقْطِفُ الْقُرَاصَ الْمُجْرِقَ ...

وَكَانَ أَحَدُ الضُّبَّاطِ قَدْ شَاهَدَهَا ، وَهِيَ تُغَادِرُ الْقَصْرَ ، وَتَبِعَهَا .
 فَلَمَّا رَأَاهَا تَسِيرُ بَيْنَ السَّاحِرَاتِ ، الْبَشِعَاتِ ، اعْتَقَدَ أَنَّ بِنْتَ الْغَابَةِ

الْجَمِيلَةَ ، الَّتِي صَارَتْ مَلِكَةَ الْبِلَادِ ، لَيْسَتْ إِلَّا سَاحِرَةً ، خَدَعَتْ
الْمَلِكَ ، وَخَدَعَتْ الشَّعْبَ جَمِيعَهُ .

وَأَسْرَعَ هَذَا الضَّابِطُ إِلَى الْمَلِكِ ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ زَوْجَتَهُ سَاحِرَةٌ ،
تَذْهَبُ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ إِلَى الْمَقَابِرِ ، وَتَجْمَعُ الْأَغْشَابَ الَّتِي تَنْبُتُ
حَوْلَهَا فَحَزِنَ الْمَلِكُ ، وَسَقَطَتِ الدُّمُوعُ عَلَى خَدَّيْهِ ، وَمَزَّقَ الْغَمُّ
قَلْبَهُ ، وَقَضَى لَيْالِي كَثِيرَةً لَا يَذُوقُ فِيهَا النَّوْمَ ، وَصَارَ يُرَاقِبُ زَوْجَتَهُ ،
بِدُونِ أَنْ تَشْعُرَ ، وَيَتْبَعُهَا كُلَّمَا ذَهَبَتْ إِلَى الْغُرْفَةِ الصَّغِيرَةِ .
كَانَ وَجْهُ الْمَلِكِ يَكْمَدُ ، وَيَتَغَيَّرُ لَوْنُهُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ، وَلَا حَظَّتِ
الْمَلِكَةُ الْمِسْكِينَةَ هَذَا التَّغَيُّرُ ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَعْرِفْ لَهُ سَبَبًا ، فَزَادَتْ
هُمُومُهَا وَأَحْزَانُهَا ، وَأَخَذَتْ دُمُوعُهَا تَتَسَاقَطُ عَلَى الْمُخَمَلِ وَالْحَرِيرِ ،
كَأَنَّ الْمَاسَ الْبَرَّاقَ ! وَلَكِنَّهَا لَمْ تَفْقِدْ شَجَاعَتَهَا وَصَبْرَهَا ، بَلْ وَاصَلَتْ
عَمَلَهَا ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ إِلَّا قَمِيصٌ وَاحِدٌ ... وَأَنْتَهَى الْخَيْطُ !
وَوَجَدَتِ الْمَلِكَةُ نَفْسَهَا مُضْطَرَّةً ، مَرَّةً أُخْرَى ، إِلَى أَنْ تَذْهَبَ إِلَى

الْمَقَابِرِ ، لِتَقْطِفَ الْقُرَاصَ . وَكَانَتْ ضَيِّقَةَ الصَّدْرِ بِوَحْشَةِ الْقُبُورِ ،
وَبِمَنْظَرِ السَّاحِرَاتِ ذَوَاتِ الْوُجُوهِ الْقَبِيحَةِ ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ قُوَّةَ
الْإِرَادَةِ ، عَظِيمَةَ الثِّقَةِ بِاللَّهِ ، شَدِيدَةَ الرَّغْبَةِ فِي خَلَاصِ إِخْوَتِهَا ، مَهْمَا
تَحَمَّلَتْ مِنْ آلامٍ .

فَلَمَّا انْتَصَفَ اللَّيْلُ ، خَرَجَتْ مِنَ الْقَصْرِ . وَفِي هَذِهِ الْمَرَّةِ تَبِعَهَا
الْمَلِكُ بِنَفْسِهِ ، وَمَعَهُ الضَّابِطُ الَّذِي رَأَاهَا فِي الْمَرَّةِ السَّابِقَةِ ،
فَشَاهَدَاهَا تَسِيرُ بَيْنَ الْقُبُورِ ، وَلَمَحَا السَّاحِرَاتِ الْبَشِعَاتِ ، فَتَرَاجَعَ
الْمَلِكُ مُشْمُزًّا ، وَقَالَ : « فَلْيَحَاكِمْنَاهَا الشَّعْبُ ! » ...

وَقُبِضَ عَلَى الْمُسْكِينَةِ ، وَأُلْقِيَتْ فِي سِجْنٍ مُظْلِمٍ مُخِيفٍ ، لَيْسَ فِيهِ
إِلَّا نَافِذَةٌ وَاحِدَةٌ صَغِيرَةٌ ، ذَاتُ قُضْبَانٍ مِنْ حَدِيدٍ ، فَأَخَذَتْ تُصَلِّيُ ،
وَتَبْكِي ، وَتَدْعُو اللَّهَ ، وَتَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ أَنْ يُنَجِّيَهَا ، وَيُظْهِرَ بَرَاءَتَهَا .

وَبَيْنَمَا هِيَ تَبْكِي ، إِذْ وَقَفَتْ عَلَى قُضْبَانِ النَّافِذَةِ بِجَعَةٍ صَغِيرَةٍ ،
وَأَخَذَتْ تُرْفِرُ بِجَنَاحَيْهَا ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُحْدِثَ صَوْتًا ... إِنَّهُ أَخُوهَا

الصَّغِيرُ . لَا شَكَّ أَنَّ إِخْوَتَهَا لَيَسُوا بَعِيدِينَ عَنْهَا . فَيَا لِلْفَرَجِ !
 وَفَجَاءَ مَلَأَ النُّورُ الْحُجْرَةَ ، وَوَقَفَ بُلْبُلٌ عَلَى قُضْبَانِ النَّافِذَةِ ، وَأَخَذَ
 يُغَنِّي ، بِصَوْتِهِ الْجَمِيلِ الْحُنُونِ ، وَأَمْتَلَأَتِ الْحُجْرَةُ بِفِثْرَانٍ بِيضٍ صِغَارٍ ،
 كَانَتْ تَتَحَرَّكُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَتَجْرُ الْقُرَاصُ وَالْقُمَصَانُ ، وَتَضَعُهَا
 عِنْدَ قَدَمَيْهَا ... حَمْدًا لَكَ يَا رَبِّ وَشُكْرًا ...

وَقَضَتِ الْمَلِكَةُ اللَّيْلَ كُلَّهُ سَاهِرَةً ، تَنْسِجُ الْقَمِيصَ الْأَخِيرَ !
 وَقَبِيلَ شُرُوقِ الشَّمْسِ ، وَقَفَ أَمَامَ الْقَصْرِ الْمَلِكِيِّ ، أَحَدَ عَشَرَ
 فَتًى شَرِيفًا ، وَطَلَبُوا أَنْ يُقَابِلُوا الْمَلِكَ ، فَقَالَ لَهُمُ الْحَرَّاسُ : « إِنَّ الْوَقْتَ
 لَيْلٌ ، وَمِنَ الْمُحَالِ أَنْ تُقَابِلُوا الْمَلِكَ الْآنَ » . فَأَخَذَ الْفَتَيَانِ يَرْجُونَ
 الْحَرَسَ تَارَةً ، وَيُهَيِّدُونَهُمْ تَارَةً أُخْرَى ، وَهُمْ يَصِيحُونَ بِأَصْوَاتٍ
 عَالِيَةٍ ... ثُمَّ ظَهَرَتِ الشَّمْسُ ، فَأَخْتَفَى الْأَحَدُ عَشَرَ فَتًى ، وَانْقَلَبُوا
 إِلَى إِحْدَى عَشْرَةِ بَجَعَةٍ مُتَوَحِّشَةٍ ، طَارَتْ وَحَطَّتْ فَوْقَ الْقَصْرِ ...
 وَجَاءَ الْقُضَاةُ إِلَى السَّجْنِ ، لِيُعِيدُوا سُؤَالَ الْمَلِكَةِ عَنْ جَرِيمَتِهَا ،



فَلَمْ تَنْطِقْ بِكَلِمَةٍ ، بَلْ هَزَّتْ رَأْسَهَا ، وَأَشَارَتْ إِلَيْهِمْ ، كَأَنَّهُمَا تَقُولُ
لَهُمْ : لَا تُلِحُّوا فِي سُؤَالِي ، فَلَنْ أَتَكَلَّمَ . فَلَمَّا أَخْبَرُوهَا أَنَّ الشَّعْبَ
قَدْ حَكَمَ عَلَيْهَا بِالْمَوْتِ حَرْقًا ، وَأَنَّهَا - إِنْ لَمْ تُدَافِعْ عَنْ نَفْسِهَا -
تُحْرَقُ عِنْدَ الظُّهْرِ ، فَتَحَتْ فَمَهَا ، وَأَوْشَكَتْ أَنْ تَتَكَلَّمَ ، لَكِنَّهَا تَذَكَّرَتْ
أَنَّ إِخْوَتَهَا يَهْلِكُونَ لَوْ نَطَقَتْ ، وَأَنَّ عَذَابَهَا الْأَلِيمَ ، وَدُمُوعَهَا الْغَزِيرَةَ ،
وَسَهَرَهَا الطَّوِيلَ ، يَضِيعُ كُلُّهُ بِلا فائدةٍ ، فَلَزِمَتْ السُّكُوتَ .

وَعِنْدَ الظُّهْرِ أُخْرِجَتْ مِنَ السَّجْنِ ، وَأُزْكِبَتْ عَرَبَةٌ حَقِيرَةٌ يَجْرُهَا
حِصَانٌ هَزِيلٌ ، وَلَمْ يَكُنْ يَشْتُرُ جِسْمَهَا غَيْرُ قَمِيصٍ خَشِنٍ . وَكَانَ
شَعْرُهَا الذَّهَبِيُّ يَتَدَلَّى عَلَى ظَهْرِهَا ، وَكَانَ وَجْهُهَا أَصْفَرَ ، كَصُفْرَةِ
الْأَمْوَاتِ ، وَشَفَتَاهَا تَرْتَجِفَانِ ، كَأَنَّهُمَا تَدْعُو اللَّهَ هَمْسًا . أَمَّا أَصَابِعُهَا
فَكَانَتْ تَنْسِجُ الْخُيُوطَ الْخَضِرَ ...

لَقَدْ كَانَتْ الْقُمْصَانُ الْعَشْرَةُ تَحْتَ قَدَمَيْهَا ، وَالْقَمِيصُ الْحَادِي عَشَرَ
بَيْنَ يَدَيْهَا . وَكَانَتِ الْعَرَبَةُ الْحَقِيرَةُ ، تَسِيرُ بِهَا بَطِيئَةً ، بَيْنَ جُمُوعِ

الشَّعْبِ ، الَّتِي تَسْخَرُ مِنْهَا وَتَلْعَنُهَا ؛ فَهَذَا يَقُولُ : « أَنْظَرُوا كَيْفَ
 تُرْمِزُ السَّاحِرَةُ ! » ، فَيَرُدُّ عَلَيْهِ آخَرُ بِجَانِبِهِ : « تَأْمَلُوا مَا تَصْنَعُهُ
 يَدَيْهَا ! » ، فَيَصِيحُ ثَالِثٌ : « إِنَّهَا لَا تُرِيدُ أَنْ تَتْرَكَ سِحْرَهَا لِحَظَةٍ » ،
 ثُمَّ يَغْلُو صَوْتُ رَابِعٍ قَائِلًا : « لِنَنْزِعْ مِنْهَا هَذَا النَّسِيجَ ... لِنَمَرِّقَهُ قِطْعًا ! »
 وَثَارَتِ الْجُمُوعُ الْمُحْتَشِدَةُ ، وَهَمَّتْ بِالْهُجُومِ عَلَى الْبَرِيَّةِ ، وَلَكِنْ
 ظَهَرَتْ فِي الْجَوِّ ، إِحْدَى عَشْرَةَ بَجْعَةً بَيْضَاءَ ، حَلَقَتْ فَوْقَ الْعَرَبَةِ ،
 ثُمَّ حَطَّتْ عَلَى جَوَانِبِهَا ، وَأَخَذَتْ تَهْزُ أُجْنِحَتَيْهَا هَزًّا عَنِيفًا مُتَوَاصِلًا ،
 فَتَرَا جَعَتِ الْجُمُوعُ مَذْعُورَةً ، وَأَخَذَتْ تَصِيحُ : « هَذَا إِعْلَانٌ مِنْ
 السَّمَاءِ ! لَعَلَّهَا بَرِيَّةٌ ! » ...

وَفِي وَسْطِ الْمَيْدَانِ ، وَعِنْدَمَا حَاوَلَ الْحَارِسُ أَنْ يَقْبِضَ عَلَى
 يَدِ الْمَلِكَةِ ، لِيُنْزِلَهَا مِنَ الْعَرَبَةِ ، وَيُقَيِّدَهَا ، أَلْقَتْ هِيَ الْأَحَدَ عَشَرَ
 قَمِيصًا عَلَى الْبَجَعَاتِ ، فَتَحَوَّلَتْ فِي الْحَالِ ، إِلَى أَحَدَ عَشَرَ أَمِيرًا ،
 عَلَى رُؤُوسِهِمْ تَيْجَانٌ مِنْ ذَهَبٍ ، إِلَّا الْأَخَ الصَّغِيرَ ، فَقَدْ لَقِيَ أَحَدُ

جَنَاحَيْهِ ، لِأَنَّ قَمِيصَهُ كَانَ نَاقِصًا كَمَا !

وَهَاجَ الشَّعْبُ ، وَعَلَا صِيَاحُهُ ، وَأَمِنَ بِرِأَاةِ مَلِكْتِهِ ، فَأَخَذَ يَهْتِفُ بِحَيَاتِهَا . وَنَهَضَ الْمَلِكُ مِنْ كُرْسِيِّهِ ، وَقَصَدَ إِلَى حَيْثُ كَانَتِ الْمَلِكَةُ وَاقِفَةً فِي الْعَرَبَةِ ، وَحَوْلَهَا إِخْوَتُهَا ...

وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ حَدَّثَتْ مُعْجِزَةٌ أُخْرَى ، فَقَدْ تَحَوَّلَتْ أَغْوَادُ الْحَطَبِ ، الَّتِي كَانَتْ مُجَهَّزَةً لِإِخْرَاقِ الْمَلِكَةِ ، إِلَى أَشْجَارٍ مُورِقَةٍ ، مُمْتَلِئَةٍ بِالْوُرُودِ ، وَصَارَ مَيْدَانُ التَّغْذِيبِ بُسْتَانًا ، كُلُّهُ وَرْدٌ أَحْمَرٌ ، وَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا وَرْدَةٌ وَاحِدَةٌ بَيْضَاءُ ، تَلْمَعُ كَالنَّجْمِ !

قَطَفَ الْمَلِكُ الْوَرْدَةَ الْبَيْضَاءَ ، وَسَارَ نَحْوَ الْمَلِكَةِ ، وَوَضَعَ الْوَرْدَةَ عَلَى صَدْرِهَا ، فَأَبْتَسَمَتْ ، وَظَهَرَتْ عَلَى وَجْهِهَا عِلَامَاتُ السَّعَادَةِ وَالسَّلَامِ ، وَتَكَلَّمَتْ أَمَامَهُ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى ، وَقَالَتْ : « أَشْكُرُكَ يَا مَوْلَايَ ! »

ذَهَلَ الْمَلِكُ ، حِينَ سَمِعَهَا تَتَكَلَّمُ ، وَكَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّهَا خَرَسَاءُ ، وَلَمْ يَذَرِ مَاذَا يَفْعَلُ ، فَأَخَذَ يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَشِمَالًا ، وَيُحْمَلِقُ فِي وَجْهِهِ

الْمَلِكَةِ حِينًا ، وَفِي وُجُوهِ إِخْوَتِهَا حِينًا آخَرَ . فَاقْتَرَبَ مِنْهُ أَكْبَرُ
الْأُمَرَاءِ ، وَأَنْحَى أَمَامَهُ ، وَحَيَّاهُ فِي أَدَبٍ وَاحْتِرَامٍ ، وَقَصَّ عَلَيْهِ
الْقِصَّةَ بِاخْتِصَارٍ ...

وَيَنْمَا الشَّعْبُ ذَاهِلٌ ، مَاخُودٌ بِمَا حَدَّثَ أَمَامَهُ مِنْ عَجَائِبَ ،
إِذَا بِهِ يَرَى عَجِيبَةً أُخْرَى : فَقَدْ تَحَوَّلَتْ عَرَبَةُ السَّجْنِ الْحَقِيرَةِ ، إِلَى
عَرَبَةٍ مَلَكِيَّةٍ فَخْمَةٍ كَبِيرَةٍ ؛ فَجَلَسَتِ الْمَلِكَةُ فِي الْوَسْطِ ، وَعَنْ يَمِينِهَا
الْمَلِكُ ، وَعَنْ يَسَارِهَا أَخُوهَا الصَّغِيرُ ، ذُو الْجَنَاحِ ؛ وَأَحَاطَ بِهِمْ سَائِرُ
الْإِخْوَةِ . ثُمَّ عَادَ الْجَمِيعُ إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ ، فِي مَوْكِبٍ لَمْ تَرَ الْعُيُونُ مِثْلَهُ ؛
وَمَكَثَ الْأُمَرَاءُ فِي ضِيَافَةِ الْمَلِكِ ، وَأُخْتِهِمُ الْمَلِكَةُ ، أَحَدَ عَشَرَ
يَوْمًا ، ثُمَّ سَافَرُوا إِلَى مَمْلَكَةِ أَبِيهِمْ ... وَلَمَّا رَأَاهُمُ الشَّعْبُ يَدْخُلُونَ
الْعَاصِمَةَ ، أَخَذَ يَتَجَمَّعُ حَوْلَهُمْ ، وَيَهْتَفُ بِحَيَاتِهِمْ ، وَيُظْهِرُ سُورَهُ
بِعَوْدَتِهِمْ ... وَخَرَجَ النَّاسُ مِنْ مَنَازِلِهِمْ وَحَوَانِيتِهِمْ ، يَسْتَقْبِلُونَهُمْ
بِالْهُتَافِ وَالتَّصْفِيقِ ، وَالطُّبُولِ وَالْمَزَامِيرِ ؛ وَحَمَلُوهُمْ عَلَى الْأَعْنَاقِ ،

وَذَهَبُوا بِهِمْ إِلَى الْقَصْرِ الْمَلَكِيِّ .

وَدَخَلُوا عَلَى أَبِيهِمْ ، فَرَأَوْهُ فِي فِرَاشِهِ ، شَيْخًا كَبِيرًا مَرِيضًا ،
لَا يَسْتَطِيعُ الْحَرَكَةَ ، فَأَحَاطُوا بِهِ ، وَالتَّفُّوا حَوْلَ سَرِيرِهِ ، وَقَصُّوا عَلَيْهِ
مَا جَرَى لَهُمْ ، وَحَكَّوْا لَهُ قِصَّةَ أُخْتِهِمْ ، وَكَيْفَ صَارَتْ مَلِكَةً عَظِيمَةً ،
وَكَيْفَ خَلَّصَتْهُمْ مِنْ سِحْرِ زَوْجَةِ أَبِيهِمْ ، فَأَثَّرَ الْفَرَحُ فِي نَفْسِهِ ،
وَعَادَتْ إِلَيْهِ قُوَّتُهُ وَنَشَاطُهُ ، فَهَضَّ مِنْ فِرَاشِهِ ، وَأَخَذَ يَحْتَضِنُ أَوْلَادَهُ
وَيُقَبِّلُهُمْ ، وَدُمُوعُهُ تَتَسَاقَطُ عَلَى خَدَّيْهِ فَرَحًا وَسُرُورًا .

أَمَّا الْمَلِكَةُ الشَّرِيرَةُ ، فَقَدْ جُنَّتْ حِينَمَا رَأَتْ الْأَمْرَاءَ ، فَنُقِلَتْ إِلَى
الْمُسْتَشْفَى ، وَقَضَتْ بَقِيَّةَ أَيَّامِهَا فِيهِ ، لَا يَنْجَعُ فِيهَا الْعِلَاجُ ، حَتَّى
تَوَفَّاهَا اللَّهُ .

وَبَعْدَ ثَلَاثِ سَنَوَاتٍ مَاتَ الْأَبُ ، فَتَوَلَّى الْمُلْكَ ابْنُهُ الْأَكْبَرُ ،
وَعَاوَنَهُ إِخْوَتُهُ ، وَاتَّصَلَتْ مَمْلَكَتُهُمْ بِمَمْلَكَةِ أُخْتِهِمْ ، وَعَاشُوا
بَقِيَّةَ حَيَاتِهِمْ سَعْدَاءَ ...

أسئلة في القصة

- (١) لماذا تزوج الملك مرة ثانية؟ وكيف عاملت الملكة الجديدة أولاد زوجها؟
- (٢) صف حياة الأميرة في الرّيف، واذكر لماذا أشارت الملكة بإرسالها إلى هناك.
- (٣) كيف صار الأمراء يجمعون متوحّشات؟ وأين ذهبوا؟
- (٤) ماذا صنعت الملكة بالأميرة بعد عودتها من الرّيف؟ ولمّ طردها أبوها؟ وأين ذهبت؟
- (٥) أين قابلت الأميرة السيّدة العجوز؟ وبماذا نصحت العجوز الأميرة؟
- (٦) في أيّ مكان التقت الأميرة بإخوتها؟ وكيف كانت هيئتهم؟
- (٧) كيف حمل الأمراء أختهم إلى مسكنهم البعيد؟
- (٨) ماذا رأت الأميرة في حلمها؟ ولماذا امتنعت عن الكلام؟
- (٩) أين رأى الملك الشاب الأميرة؟ وكيف نقلها إلى قصره الملكي؟
- (١٠) من الذي تزوج الأميرة؟ وكيف كانت تخاطب زوجها ووصيفاتها وخدمها؟
- (١١) لماذا ذهبت الملكة إلى المقابر؟ وماذا رأت هناك؟
- (١٢) لماذا حكم الشعب على ملكته بالموت حرقاً؟
- (١٣) كيف أبطّل سحر الأمراء؟ ومتى حدث ذلك؟
- (١٤) لماذا صار لأصفر الأمراء ذراع إنسان وجناح بجعة؟
- (١٥) اذكر العجائب التي حدثت عند الشروع في إحراق الملكة.
- (١٦) ماذا فعل الأمراء بعد أن أبطّل سحرهم؟
- (١٧) كيف كانت نهاية الملكة الشريرة؟
- (١٨) ماذا تستفيد من هذه القصة؟ وهل أعجبتك؟